مجلة التجديد العربي
Arabic Renewal Journal
مجلة دولية نصف سنوية محكمة شاملة تصدر عن المعهد العالمي للتجديد العربي العدد الاول / يوليو 2023
ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

" التّحوّل المجتمعيّ في رواية جبّور الدّويهي[1] حيّ الأميركان"

هدى علي عيد (*)[2]

لبنان – الشّوف

houdaeid@hotmail.com

ملخّص:

موضوع هذا البحث هو المدينة وتحوّلاتها في، رواية " حيّ الأميركان" للرّوائيّ اللّبنانيّ جبّور الدّويهي؛ تلك التّحوّلات الّتي جعلت من مدينته اللّبنانيّة " طرابلس"، حاضنة لبعض خلايا الإرهاب، ومساهمَة في تأهيل بعض عناصره من الشّباب.

"حيّ الأميركان" تمثيلٌ سرديٌّ للمجتمع الطّرابلسيّ العربيّ، في علاقةِ وعيه بالإرهاب، وفي إشكاليّة التّعامل معه، ما يعني أنّها دلالة تكوينيّة في مفاهيم الذّات والهُويّة والسّلطة والثّقافة، كما يفيد أنّ تمثيلها سرديّاً لا يحدّها عند دلالة تاريخيّة ومحليّة، إنّما يجاوز بها إلى الكلّيّ والعام، ويدرجها في عداد القراءة النّقديّة لجزء من تاريخ الوطن المحلّيّ والقوميّ.

لذلك تسعى هذه المقاربة إلى إبراز العلاقة بين التّحوّل العام الّذي أصاب مجتمع المدينة، بكلّ دوائره ومكوّناته وشخصيّاته، وتقصّي مظاهر التّحوّل الّلاحق به وبعلاقاته وتبيّنها، انتهاء إلى التّأويل الاجتماعيّ المنتج، عساها تتمكّن من الوصول إلى الدّلالة الّتي سعت الرّواية إلى توليدها.

---

[1] ***هو جبور بن بولس الدويهي، روائي وأستاذ جامعيّ لبنانيّ***، من مواليد عام 1949، في بلدة زغرتا الواقعة شمال لبنان قرب طرابلس، نال في هذا العام لقب " روائيّ الحياة اللّبنانيّة". اختيرت رواياته مطر حزيران، وشريد المنازل، وملك الهند ضمن القوائم القصيرة لجائزة البوكر العربية، ونالت الثّانية منها جائزة حنا يواكيم للرّواية اللبنانيّة، وحصلت على جائزة الأدب العربي الشّاب من معهد العالم العربيّ بباريس، وهي جائزة " تُمنح لكاتب عربيّ نظير عمل أدبيّ كتب باللّغة الفرنسيّة، أو تُرجم إليها من اللغة العربيّة ". صدرت الطّبعة الأولى من حيّ الأميركان، العام 2014، عن دار السّاقي في بيروت.

[2] ***الدّكتورة هدى علي عيد:*** باحثة متخصّصة في النّقد الأدبيّ الحديث، تخرّجت في الجامعة الإسلاميّة في لبنان. تُعدّ من الأصوات المبادرة في المشهد الثّقافيّ اللّبنانيّ. أسهمت بمقالات نقديّة وثقافيّة، في العديد من الدّوريّات، والمجلّات المحكّمة. لها ثمانِ روايات، وبعض الإسهامات القصصيّة. مُحاضِرة في عدد من النّدوات النّقديّة الأدبيّة. حائزة جائزة مؤسّسة الحريريّ للتّنمية البشريّة المستدامة عن روايتها "حبّ في زمن الغفلة"، وجائزة المطران الأب سليم غزال للسّلم والحوار الوطنيّ اللّبنانيّ، عن أعمالها الرّوائيّة، بالإضافة إلى عدد من الجوائز الوطنيّة الأخرى.

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

المنهج المعتمد، في هذا البحث، هو المنهج النّصيّ الاستقرائيّ التّحليليّ وقوامه السّرديّة البنيويّة السّيميائيّة الّتي تلاحق ما يرويه النّصّ، وتقرأ تشكيلاته العميقة وبرامج شخصيّاته، لاكتناه دلالاتها وتأويلها،وذلك انطلاقاً من مضمون الحكاية، في سبيل تبيّن التّحوّل الّذي ضرب عميقاً في المدينة /التّمثيل لوطن بأكمله.

كلمات مفتاحيّة:

التّحوّل- الهُويّة- الإرهاب- التّمثيل السّرديّ.

Abstaract:

The subject of this research is the city and its metamorphosis in the novel "The Neighborhood of Americans" for the Lebanese novelist Jabbour Douaihy. This metamorphosis has rendered Douaihy's Lebanese city, Tripoli, an incubator for some terrorist cells, and contributed to the rehabilitation of some of its youth.

"The Neighborhood of Americans" is a narrative representation of the Arab society of Tripoli, amid its awake on terrorism and how to address it. In that sense, the novel possesses a formative connotation in the concepts of self, identity, authority and culture. It also indicates that its narrative representation is not limited to a historical and local significance, but rather transcends it to the universal and the general, and includes it in the critical reading of a part of the local and national history.

Therefore, this approach seeks to highlight the relationship between the general transformation that afflicted the city's society, in all its circles, components and personalities, and to investigate and clarify the manifestations of the subsequent transformation and its relations, ending with a productive social interpretation, in the hope that it will be able to reach the significance that the novel sought to generate.

The method adopted, in this research, is the descriptive-analytical textual method and its semiotic narrative structure, which follows up on what the text narrates, and reads its deep formations and the programs of its characters, to contain its

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

connotations and interpretation, based on the content of the story, in order to show the transformation that struck deep in the city / the representation of an entire nation.

Key Words:

The transformation– identity– terrorism –the narrative representation

المقدّمة والمنهج:

تنطلق هذه القراءة البحثيّة، من رؤية جوهريّة مفادها التّأكيد على واحديّة الجذرالاجتماعيّ للمرجع الواقعيّ، وللنّصّ السّرديّ الرّوائيّ المحيل، على هذا الواقع، بعيداً من التّوهّم بانعزاله عنه، لأنّ الرّوائيّ:"وليد البيئة الّتي نشأ فيها، وصور خياله ومزاجه الفكريّ مستمدّة من واقع المجتمع الّذي نشأ فيه"[1]. هي قراءة ترى إلى النّصّ التّخييليّ الرّوائيّ، بوصفه أحد تجليات المخيال الاجتماعيّ الحامل لدلالات، تشي برؤية صاحبه المنتمي إلى هذا المجتمع يؤدّي من منظوره النّقديّ قراءته له، أو الأيديولوجيّ الّذي ينبثق وعيه منه. يقول الرّوائيّ عبر منطوقه الفنّيّ، ومن خلال لعبته السّرديّة المتخيّلة، يبني بوساطتها فضاءَ نصّه الموازي للمرجعيّ الواقعيّ الكامن فيه، والمفارق له، عبر لعبة التّخييل.

تثبت القراءات المتنوّعة أنْ ليس من رواية حقيقيّة لا تنطق بالمسكوت عنه، ولا تصوغ شخصيّاتها متعارضةً مع بنية الواقع الاجتماعيّ المُدان، لأنّ الرّواية، في انبنائها وفي خطابها، تبلور الحسّ النّقديّ عند مبدعها، إذ تصدر عن وعيه الصّميم بالإنسانيّ الاجتماعيّ، لتنخرط تالياً، في الإنتاج الثّقافيّ المناهض لخطاب التّعصب والتّقوقع والانغلاق، أو لتتبنّى خطابَ التّمرّد، والتّحرّر، ورفض الاستلاب.

تتقلّص الحدود بين " المتخيّل" وبين " مرجعه الواقعيّ"، في رواية "حيّ الأميركان"، إلاّ أنّ الفضاء الرّوائيّ، أو الزّمكانيّة المؤطِّرة لهذا المسرود الفنّيّ، نجح في إنتاج دلالة الرّفض الّتي توخّى الرّوائيّ تسريبها، بل بلورتها، عبر قَصّه. فالدويهي يحاول بقصديّة، في روايته هذه، استنطاق التّاريخ المعاصر لمدينة غرقت في تحوّلاتها، من خلال تشكيلٍ فنيّ لمشهديّة المكان، وللقاطنين فيه، بحيث جاءت رؤيته لمدينة طرابلس، أو لجزءٍ حيويّ منها، رؤية بصريّة سينمائيّة متحرّكة نضحت، بتفاعل الأمكنة والأزمنة،

[1] عصام الشّنطيّ، الجماليّة والواقعيّة في نقدنا الأدبيّ الحديث، بيروت: المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، 1979، ص 73.

مجلة دولية نصف سنوية محكمة شاملة تصدر عن المعهد العالمي للتجديد العربي العدد الاول / يوليو 2023
ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

وبتقابلها، بحيث يمكننا أن نلاحظ." أنّ القصة ليست مجرد إشباع رغبة وميل، إنها بالتأكيد عملٌ مقصودٌ لذاته. وهذا ما يجعل منها فنّاً معمارياً تخبر معماريّته عن معماريّة الأمة التي ينتمي الفنان إليها، ومعنى يفضح سرُّه سرَّ الكاتب، وألق المجتمع الذي يكتب له "[1].

يُعنى المنهج السّرديّ البنيويّ بدراسة المكان الرّوائيّ، لأهميّته في المتخيّل الرّوائيّ، بحسبانه الحاضن الأساسيّ للأحداث، والإطار العام لحركة الشّخصيّات المتفاعلة معه، والمنفعلة به، والمتشابكة في ما بينها في أنحائه على تنوّعها. من خلال المكان، يتمكّن الرّوائيّ من تقديم منظوره، وهو ينشيء فضاءه المقصود من التحام المكان بالزّمان. وتتمثّل المهمّة الرّئيسيّة للنّقد البنائيّ بدراسة :" وظيفة كلّ عنصر، في البناء، في إطاره الكامل الّذي يحمل المغزى كلّه للعمل"[2]. كذلك اهتمّت السّيميائيّة السّرديّة:" بمضمون الحكاية، بما يرويه النّصّ، وبتشكيلاته العميقة"[3]. وقد تمكّن المنهج البنيويّ في الأدب، والمنهج السّيميولوجيّ أو علم العلامات، من تحويل الدّراسة الأدبيّة نحو الخطاب الأدبيّ عامّة، والرّوائيّ منه على وجه التّحديد، بحيث غدا تحليل الخطاب، بفعل تراكم النّظريّات النّقديّة، والممارسات المتنوّعة عبارة، عن منظومة متّسقة، من الإجراءات المنهجيّة.

علماً بأنّ مفهوم الشّعريّة الّذي تأسّس، على البحث في أدبيّة النّصوص، قد تأثّربالاتّجاه اللّغويّ، وبإنجازات العالِم السّويسريّ فرديناند دو سوسير Ferdinand de Saussure الّذي ميّز، بين اللّغة (Langue) وبين الكلام(Parole) ، حاسباً العلامةَ اللّغويّة معادلاً تركيبياً يتكوّن من دالّ ومدلول: العلامة اللّغويّة = دالّ (صورة صوتيّة) + مدلول (صورة ذهنيّة)، فاهتمّ بذلك بالبحث في علاقات النّصّ، على مستوى داخليّ يتجاوزالجملة الواحدة، متأثّراً كذلك، بالاتّجاه البنيويّ المتمثّل، في تحليلات المدرسة الرّوسيّة فلاديمير بروب Vladimir Propp ما يشير، إلى الجذر البنيويّ في منهج تحليل الخطاب الّذي جمع كلا الاتّجاهين: البحث عن البنية الكلّيّة الكامنة في النّصّ، ومظاهرها الخارجيّة، فضلاً عن استثمار تحليل الخطاب لإنجازات السّيميولوجيا، في توجّهها نحو:" الوحدات الوظيفيّة في

[1] رولان بارت، مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، ترجمة د.منذر عياشي، حلب: منشورات مركز الإنماء الحضاري، ط1، 1993، ص8.
[2] د. نبيلة إبراهيم سالم، نقد الرّواية من وجهة نظر الدّراسات اللّغويّة الحديثة، الرّياض: النّادي الأدبيّ، 1980، ص. 213.
[3] نبيل أيّوب، النّقد النّصيّ (2) وتحليل الخطاب، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 2011م.، ص 33.

مجلة دولية نصف سنوية محكمة شاملة تصدر عن المعهد العالمي للتجديد العربي العدد الاول / يوليو 2023
ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

النّصوص"[1]. شكّلت كلّ تلك الجهود إنجازاً حقيقيّاً يعينُ، على إنجاز التّأويل، وفهم المؤوّل، وفق "تأويليّة هايدجر"، ما أسهم في قراءة النّصّ السّرديّ في فضائه، وليس في خطّيته فقط، وأتاح للنّاقد التقاط القوانين العامّة المولّدة له، والنّظر إلى النّصّ، بوصفه نظاماً إشاريّاً دالّاً يكشف عنه المنهج المتّبع.

استدعى التّوغّل، في عمق البنية الرّوائيّة لهذه الرّواية، واكتناه دلالاتها، الإفادة من المعطيات المفهوميّة السّابقة لدراسة:" وظائف التّشكّل المكاني، وتصنيفه في دوائرتبعاً لمجريات نوع الأحداث الواقعة فيه"[2]. لكن قبل مقاربة التّحوّل الّذي ضرب عميقاً في المدينة، وسرى إلى أبنائها، لا بدّ من تبيّن أسرار المدلول عبر وصف الدّال، بدءاً من استقراء دلالة العنوان " حيّ الأميركان"، الّذي تمّ توظيفه كمجاز جزء دالّ على الكلّ، وصولاً إلى الدّلالة الكلّية لهذه الرّواية.

دلالة العنوان :

يوضّح الدّكتور خالد حسين حسين، في كتابه " نظريّة العنوان"، أهميّة العنوان الّتي تنبثق كما يرى:"من حيث هو مؤشّر تعريفيّ وتحديديّ، ينقذ النّصّ من الغُفلة، لكونه يشكّل الحدّ الفاصل بين العدم والوجود، بين الفناء والامتلاء. فأن يمتلك النّصّ عنواناً، هو أن يحوز كينونة، والإسم/ العنوان، في هذه الحال هو علامة هذه الكينونة"[3]. يؤدّي العنوان ببعده الدّلاليّ والإيحائي، دوراً مهمّاً في عمليّة تأويل النّص واختزاله، فهو يقوم بتعيّين طبيعة النّص الذي يَسمه، ويشكّل الإشارة الأولى الّتي تواجه المتلقّي لتكون أحياناً مفتاحاً دلاليّاً يستطيع اختزال النّصّ.

تضعنا قراءة عنوان رواية " حيّ الأميركان"، أمام إشكاليّة تحوّل المكان الّذي سعى الدّويهي إلى اختراقه، من خلال مسروده. كلّ ما يحدث، في الرّواية، منطلقٌ من الحيّ، ومرتدّ إليه، لذا يبدو تخيّر الدّويهي له، بمثابة دعوة يوجّهها إلى قارئه يحثّه بواسطتها على الدّخول، إلى عالمه السّرديّ منطلقاً من هذه العتبة النّصيّة، وصولاً إلى الفضاء الّذي ينبني مع تقدّم السّرد. تبرزاستراتيجيّة الروائي، في توظيفه عنواناً بسيطاً ودالاًّ في آن. فمفردة الحيّ يراد بها، في الاستعمال اللغويّ السّائد، ذلك المكان الحميم من

[1] فرحان بدري الحربيّ، الأسلوبيّة في النّقد العربيّ الحديث، دراسة في تحليل الخطاب، بيروت: المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، ط3، 2003، ص48.

[2] Greimas et Courtes, Sémiotique, Dictionnaire raisonné, T.1, 1979, T.2,1986, P.12.

[3] خالد حسين حسين، في نظريّة العنوان، مغامرة تأويليّة في شؤون العتبة النّصيّة، دمشق: دار التّكوين للنّشر، 2007، ص 32.

مجلة دولية نصف سنوية محكمة شاملة تصدر عن المعهد العالمي للتجديد العربي العدد الاول / يوليو 2023
ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

المدينة أو من القرية، الذي تحيا فيه جماعة بشريّة متآلفة في عاداتها، وفي نمط عيشها، مصطبغةً بصبغة محليّة واضحة تجعلها أقرب، إلى البساطة وإلى العفويّة. إلاّ أن الروائيّ يسبغ على المفردة، بفعل إضافة لفظة الأميركان، بعداً جديداً ودلالة مخالفة، غير متطابقة والتّفسيرَ الاصطلاحيَّ الشائع، ولا مع الواقع الذي سيقدّمه، من خلال مسروده الفنّي.

ارتبطت مفردة الأميركان، وترتبط في أذهاننا، في الغالب الأعمّ، بالحداثة، بالمدرسة / الإرساليّة، بالتّعليم القادم من خارج إلى مجتمعاتنا، أكثرمن ارتباطها بالتخلّف والعشوائيّة، أوبالبساطة والفقر، وما يؤكّد هذا المفهوم الأوليّ لفظة "المدرسة" الواردة، في السّياق: "حيّ الأميركان نسبة إلى المدرسة الإنجيلية المهجورة"[1]. إذاً، كان الحي مقصداً لطّلاب يتعلّمون في ناحية من أنحائه سابقاً. إلاّ أنّ دلالة العلم غادرت الحيّ، وموطن العلم فيه (المدرسة)، فصار مهجوراً، واستعيض عن الطّلاب في أنحائها، بفرعِ المخابرات، كما يخبر الكاتب على لسان الرّاوي العليم الذي وظّفه: " حيّ الأميركان نسبة إلى المدرسة الإنجيلية المهجورة التي تمركز، في مبانيها المتهالكة، طوال سنوات، فرعٌ لما يُسمى جهاز المخابرات الجويّة المرهوبة الجانب "[2]. يحلّ التّرهيب – وإن كان من قبل الدولة– محلّ العلم، وتُظهر مفردة " مهجورة" تردّي حال الحيّ، وغياب حياة كانت زاهرة فيه محتفيةً بالعلم، ماضياً، وتركها قاصدوها حاضراً.

يكشف هذا المعطى التّركيبيّ للعنوان مسعى الروائيّ، إلى توصيف التّضادّ الحاصل، بين ماضي الحيّ النّامي الذي كانَ له، وبين الحاضر الهشّ الذي انتهى إليه، مؤشّراً في السّياق السّرديّ، إلى التّعارض بين ماضي المدينة بأسرها، والمتمثّل بإقبال أهلها على العلم، وبانفتاحهم وتحابّهم وتآلفهم، واحترامهم طقوس بعضهم البعض، وبين الحاضر المنغلق المتداعي الذي انتهى إليه هؤلاء سواء الفقراء منهم: أسرة اسماعيل (أنموذجاً)، أو الأثرياء/ السّياسيّ: أسرة عبد الكريم (أنموذجاً) التي فقدت نفوذها السّابق، بسبب موت الأب المناضل، وحلول ابن الأخ الانتهازيّ زعيماً فيها.

لذلك يستشعر القارئ نوعاً، من التّناغم القائم بين العنوان، وبين العالم المرجعيّ الذي يحيل إليه، والذي يتلاءم مع الطّرح العام الذي تنهض عليه بنية رواية حيّ الأميركان، والمتمثّل في فكرة التّحول

[1] جبّور الدّويهي، حيّ الأميركان، بيروت: دار السّاقي، ط1، 2014، ص 5.
[2] م.ن. ص 6.

مجلة دولية نصف سنوية محكمة شاملة تصدر عن المعهد العالمي للتجديد العربي العدد الاول / يوليو 2023
ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

المفاجئ المربك. تحوّل المدينة من مكان يصنع الحياة إلى مكان صانعٍ للموت، ليصبح العنوان مجازَ جزء أراد به الكاتب المدينةَ بأسرها، لا حيّاً بعينه منها.

تحوّل الهُويّة وثنائيّة التّضادّ:

تضعنا رواية حيّ الأميركان أمام موضوعة تحوّل الهُوية. فالقضية المركزية فيها هي المدينة، وهُوية هذه المدينة وتحوّلاتها، والصّراع الدّائر فيها. الهُوّية في اللغة: من هَوِيَ .اسم منسوب إلى هُو. وهوّية الإنسان حقيقته المطلقة وصفاته الجوهرية. هوّيةٌ: حقيقةٌ مطلقة في الأشياء والأحياء مشتملةٌ على الحقائق والصّفات الجوهرية : " هويّة النّفس الإنسانيّة، بطاقة الهويّة" . منسوبة إلى هو .الهُويّة (في الفلسفة) "حقيقة الشّيء أو الشّخص التي تميّزه عن غيره".[1]

Identité : Ce qui fait q'une chose est de même nature q'une [2]

autre

والهُوية مصطلحاً هي المفردة التي تُستخدم لوصف مفهوم الشّخص، وتعبيره عن فرديّته، وعلاقته مع الجماعات كالهُويّة الوطنية، أو الهويّة الثقافية.

أمّا التّحوّل في لسان العرب فهو: " التنقّل من موضع إلى آخر، أو من دار إلى غيرها"[3]. دلالةٌ تربط التّحوّل بالحركة الجسدية المشروطة بالعلاقة بالمكان، في حين تحسب د. يمنى العيد أنّ الحركة هي للقائم في المكان، أو للحركة العلائقيّة الّتي تنهض بين أركان الموجود في المكان: " التّحوّل هو تحوّل لموجود، وإذا كان التّحوّل حركةً، فإنه بهذا المعنى حركة ما يتحوّل، أو حركة العلاقات بين ما يتحوّل، بغضّ النّظر عن طابع حركة التّحوّل"[4] .

تشكّل رواية حي الأميركان ، تمثيلاً جيداً لهذا الكلام، في ما يتعلّق بالوصف الدالّ على كونها نظاماً لغويّاً يسعى إلى إدراك الحقيقة، وإلى تمثيل تحوّل التّجربة والحياة، ونظام ثقافة الأمّة.

[1] جبران مسعود، معجم الرائد ، بيروت: دار العلم للملايين ، ط1 ، 1996، ص 938 .
[2] Petit Larousse illustré. Librairie Larousse. Rue de Montparnasse. Paris 1964, P. 114.
[3] أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم إبن منظور، لسان العرب، بيروت: دار بيروت للطّباعة والنّشر، ط1، 1990. مادّة (ح وَ لَ)
[4] يمنى العيد، الراوي : الموقع والشكل، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ط1، 1986، ص37.

مجلة دولية نصف سنوية محكمة شاملة تصدر عن المعهد العالمي للتجديد العربي العدد الاول / يوليو 2023
ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

تحكي الرّواية قصة أسرة اسماعيل بلال محسن، ابن حيّ الأميركان في طرابلس الذي، استحال وفقاً لمسار الأحداث شاباً إرهابياً، بوصفه واحداً من أبناء تلك المدينة/ الأنموذج الذين راحوا بسبب، فقرهم وإهمال الدولة لهم يتحوّلون إلى التّشدد الدّيني والانغلاق. وترصد الرّواية، في الطّرف المقابل، الأحوال الاجتماعية لطبقة أغنياء المدينة ووجهائها كاشفةً النقاب عن ولادة ظاهرة الوراثة السّياسية، من خلال شخصية رياض العزّام وابن عمه " عبد الكريم العزّام "، سليل الأسرة النّافذة التي تتقاطع حياتها مع حياة عائلة " محسن "، بخاصّة في إثر عودة عبد الكريم من باريس محطّم الفؤاد، بعد أن عاش قصّة عاطفية انتهت في تلك المدينة، ما ترك أثراً عنيفاً في ذاته.

ما بين الطّرفين المتناقضين، يسرد الرّاوي بعض أحداث التّاريخ المعاصر بكل مراراتها، فالأغنياء الذين لا يتذكرون الحيّ إلاّ وقت الانتخابات ، يستمرّون في أحوالهم نفسها، بينما الفقراء الذين تحوّلوا إلى التشدّد الدينيّ والانغلاق، لا يلبثون أن ينخرطوا في جماعات متطرفة ترسلهم لتنفيذ عمليات انتحارية، كما حصل مع إسماعيل الذي يُرسَل إلى العراق.

يشكّل الواقع الرّكيزة الأساسيّة في بناء عالم جبّور الدّويهيّ السّرديّ الرّوائيّ، في " حي الأميركان"، فيبدو معه العمل الروائي صورة للحياة الواقعية، "حيث تكون مهمة الروائي هي أن يدفعنا إلى الاقتناع بالعالم الذي يقدمه والشخصيات التي يصنعها"[1].

وتمثّل شخصيّة إسماعيل العامل الذّات الّذي يعاني من تشرذمه وضياعه، وانصياعه إلى خيارات الموت والتّجنيد العشوائيّ للقتال، ليستحيل فارّاً مطلوباً بوصفه إرهابياً يتبع تنظيم القاعدة، فيعكس بذلك هويّة مجتمعيّة مسكونة، بهواجس الفقر، مستباحة الأبناء، مفتوحة على احتمالات الموت والتّشرّد والضّياع.

بنى الدّويهي شخصيّة بطله شخصيّة مرتبكة، رافضة ومنصاعة في آن، متمرّدة وعاجزة. نقرأ من خلالها، حالات التمزق والضياع والهامشية التي عرفها أبوه، من بعد إخفاقه في معركة "باب الحديد"، وفي إثر اتّهامه وحدَه، من قبل اللجان الشعبية هناك بالخيانة العظمى. وهذه إحالة على كثير من الوقائع التي شهدتها تلك الحقبة التاريخية، من العصر الحديث، في ذلك الموقع الجغرافي. وكأنّ

[1] أدوين موير، بناء الرواية، ترجمة ابراهيم الصيرفي، القاهرة: الدار المصرية للترجمة والتأليف. ط1، 1976.ص 5.

مجلة دولية نصف سنوية محكمة شاملة تصدر عن المعهد العالمي للتجديد العربي العدد الاول / يوليو 2023
ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

الدّويهي في بنائه لهذه الشّخصيّة، يصدر عن منظور نقديّ يحاكم التّحولات المربكة الّتي عصفت بمدينته طرابلس. فهوعرفها ماضياً مدينة مسالمة متسامحة، منفتحة على الآخر، ساعية إلى الحضاريّ الثقافيّ، ومحتفية به، لكنّ الحاضر العنيف راح يقتاتها، ويحيل أبناءها نماذجَ ممسوخة قابلة للانسحاق، وللخضوع إلى الخيارات الدّمويّة في سبيل تحصيل لقمة العيش، فهو يضيء على المكان انطلاقاً من الأيديولوجيّ الّذي يضمره: " إنّ النماذج المكانية تصبح القاعدة المنظمة لتصوّرنا عن العالم، أيّ لنموذج أيديولجي بكامله"[1].

هكذا تبرز الضّديّة علاقة معقدة ومتشابكة تحكم إيقاع السّرد في هذه الرّواية، وهي ضديّة تقوم بين شريحتين مجتمعتين كبريّن، تنموعلى إيقاع المسافة السّياسيّة والاقتصاديّة الّتي عرفتها المدينة عند تكوين الوطن، والّتي تتضخم، وفق قانون التّراكم الطّبيعيّ للموروث الماليّ، وما يتّصل به في البيئات المتخلّفة من تورّم للسّلطويّ، بفعل التّقدّم في الزّمن. تتبلور شخصيّة العامل الذّات إسماعيل ممثّلة شريحة من جيل الشّباب الّذي وجد نفسه مولوداً في أحضان أزمة من أنجبه، ليدفع هو ثمن هزيمته، حين تحوّلِ المدينة الوادعة وكراً لاصطياد العنصر الشّاب/ المؤهّل فيها، بتكوينه وبخلفيته الاجتماعيّة والذهنيّة والعاطفيّة (إسماعيل وسواه)، وتدريبه على الاستجابة والطّاعة العمياء للأوامر، ودفعه إلى المشاركة في عمليات الانتحار، والتّفجير، و نشر الإرهاب.

هوّية المكان الروائي: تستدعي كلّ قصة نقطة انطلاق في الزمن، ونقطة إدماج في المكان، فالرّواية القائمة على فعل المحاكاة لا بدّ لها من حدث، وهذا الحدث يتطلب بالضرورة زماناً ومكاناً؛ والوضع المكانيّ، في الرّواية، محدد أساسيّ للمادة الروائية، ولتلاحق الأحداث والحوافز، بل إنه سيتحوّل في النهاية إلى مكون روائيّ جوهري يتجاوز النّظرة إليه بوصفه مجرد إطار، بل سيكون كما رأى جيرار جينيت G. Genette: " إذا كان بالإمكان أن توجد الأماكن والأشياء من دون حركة، فإن الحركة لا توجد من دون أماكن وأشياء تجري فيها"[2].

[1] Youri Loutman: La structure du texte artistique, trad. par Anna Fournier et autres, Paris, Ed Gallimard, 1973, page 311.
[2] Gérard Genette, Figures II, Ed Seuil, points, Paris, p. 56-68.

مجلة دولية نصف سنوية محكمة شاملة تصدر عن المعهد العالمي للتجديد العربي العدد الاول / يوليو 2023
ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

لا شكّ أن الدويهي قد تنّبه إلى خاصية المكان وأهميته في روايته هذه، كما في سائر رواياته، فهو يقول: " وجدتُ هذا الحيّ ملائماً للغاية، إذ إنه مكانٌ هامشيّ، شكله الهندسي مائل، السّيارات فيه قليلة، وتملؤه المهملات الحديديّة والتّشوهات الإسمنتية، إضافة إلى أنه يتحوّل إلى معرض لصور المرشحين حين الانتخابات"[1].

رؤية عامّة إلى الأمكنة في الرواية :

تقصّ " حي الأميركان" حكاية اسماعيل بلال محسن الشاب، القاطن مع أسرته في الطابق العلوي من منزل عبد الرحمن بكري (المشنوق)، الكائن في حي الأميركان. تحوّلّ اسماعيل، عندما قارب العشرين من عمره، إلى إرهابي منتمٍ إلى بعض الجماعات الإسلامية المتطرّفة، فأُلحق بالقطر العراقيّ، لينفّذ إحدى العمليات الانتحارية، حيث يتم تجهيزه. لكنه يقلع عن التنفيذ في اللحظة الأخيرة، تاركاً الحزام الناسف في حمّام عمومي، مختاراً العودة إلى مدينته طرابلس، وتحديداً إلى " حي الأميركان". تلاحقه قوات الاستخبارات الأميركية، وأبناء حيّه يعلقون صوره تأكيداً على استشهاده، فيلجأ إلى عبد الكريم العزام!

تتبلور أحداث الرواية ضمن مرحلتين أساسيتين:

- مرحلة ما قبل الالتزام الدينيّ الجهاديّ.
- مرحلة ما بعد الالتزام الدينيّ، وما ترتب على ذلك من تداعيات.

وتظهرُ وتيرة الحياة منتظمةً،على إيقاع الاجتياز اليوميّ، للأدراج المُوحلة الطويلة المؤدّية إلى الشارع، الذي ينفذ الناس من بعده إلى الناحية الأخرى المقابلة، من المدينة، ومن هذين الشّارعين، تتشعّب الأماكن في الرّواية، وتتشكّل دوائرها.

المكان الروائي: مكوّنات وجوده ودوائره

ينتظم المكان الروائي ، في هذه الرواية، في دائرتين كبريين :

[1] جبّور الدويهي، مقابلة مع موقع المدن، صحيفة الكترونية، 14 آذار 2014.

مجلة دولية نصف سنوية محكمة شاملة تصدر عن المعهد العالمي للتجديد العربي العدد الاول / يوليو 2023
ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

الدّائرة الأولى المحليّة : مدينة طرابلس، وفيها تنتظم دائرتان صغريان:

الحيّ الشعبيّ الفقير= مهد الحاجة، الفقر، الضياع والتبعية وفي ما بعد الإرهاب.

الحيّ الرّاقي = موضع المال: النفوذ الاقتصاديّ، الاجتماعيّ والسياسيّ.

هذان الحيّان : الدّائرتان الصّغريان تمثّلان الثنائية/ الأساس في الرواية: الفقر/ الغنى، وكلّ ما تولده هذه الثنائية من علاقات بشريّة غير متوازنة ينتج عنها الشعور بفقدان الكرامة وانعدام الحرية، ما يحفّز لدى العنصر الشاب الإحساس بالضياع، وبالعبثيّة، ولا جدوى العلم والقبول السهل بأي خيار بديل حتى ولو كان مميتاً، وهذه هي حال إسماعيل بطل الرواية.

فإسماعيل غارق في بؤس حيّه، عاد إلى منزل والديه فوجد نفسه " حاجة نافلة فيه"، والده منشغل بذهوله وبعاره التاريخي، وأمه منشغلة بتأمين مورد رزق للأسرة، وهو عاين ضياع خاله المتعلم، ما أسهم في انصرافه عن التحصيل العلميّ، والالتحاق تالياً بجمعيّة الهداية الإسلامية، وكان أستاذه فيها الفران ياسين الشامي.

بذلك تنتظم عناصر: المنزل الضيق– الفرن الملتبس الهوية– الفرّان المشبوه– الأدراج المُوحلة الطويلة– المخفر – الجامع المملوكي (مقر الجمعية)– سوق الخضر– كوم العظام– أكوام القاذورات– صور المرشحين للإنتخابات لتقدم الحي الشعبي بوصفه مكاناً غير إنساني : حيث الاستغلال والحاجة والانزياح عن المشاعر الإنسانية السّوية، مشاعر الكرامة والحرية (بلال – اسماعيل – الخال)، فيدفع حبّ الخلاص والرغبة في تحقيق الذاّت، ونصرة (الأهل / الأب، والجيران المسحوقين بالحاجة والمرض) إسماعيل إلى خرق الممنوع، والالتحاق بموكب الإرهاب، وطلب الموت والسعي الحثيث إليه، لتحقيق الخلاص المتوهّم غير عابئ بجزع أمّه انتصار، ولا بعمره الفتي، وبذلك يتم خروجه إلى الدائرة الكبرى الثانية = العراق : لخوض مغامرة الخلاص "المتوهّمة" المُتاحة (في حين يندفع خال (مضاف إلى إسماعيل) اسماعيل إلى الإدمان التام، ويغرق الأب في الثرثرة الفارغة عن بطولات وهمية لا يصغي إليها أحد، مازجاً بين توهّمه لبطولته الضائعة، وبين ما فعل ابنه إسماعيل).

مجلة دولية نصف سنوية محكمة شاملة تصدر عن المعهد العالمي للتجديد العربي العدد الاول / يوليو 2023
ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

الدائرة الثانية الخارجية: وهي دائرة الغربة، ولها، وفق مسار الأحداث في الرّواية، وجهان نقيضان:

الوجه/ الحياة: السعودية – باريس + الوجه/ الموت: العراق .

الوجه/ الحياة : وهو يتبلور في موضعين: السعودية (موطن استقرار ورزق أخت عبد الكريم وصهره السعودي، تلتحق الأم في ما بعد بها ، وهو مكان شرقي) الإحالة إليه سريعة إجمالية تفتقر إلى التفصيل، مكان لا تُبرز منه الرواية إلا الوجه الإيجابي، (وهذا أمر مغاير لواقع الحال)، فيكون الروائي قد مارس فعل الانتقاء، وسلّط الضّوء على ما يراه هو.

باريس (مكان غربي): يبرز موطناً للعيش الحر المقبل على الحياة، والمتفلّت من القيود– عبد الكريم وتجربته العاطفية مع راقصة الباليه وعشقه لها– هربها منه– أوتوبيس النقل العام الخط 21– غرفة الراقصة – أثاث الاستديو– أورو ديزني– الملابس– المسرح[1] – محل الزهور – الشقة – السفارة. (فيتنام – الأمازون وهي البلاد التي زارها خال اسماعيل وبقيت حلمه الهارب).

الوجه/ الموت: العراق، يقود إليه سبيلٌ تبرز فيه المواقع التالية: مقر الجمعية– الجامع/ المقرّ– السيارة العتيقة– الشاحنة المتعفّنة الأجواء– الغرفة المغلقة التي ينتظر فيها إسماعيل الأوامر والتجهيزات– الباص المغلف بجو صحراوي خانق– مدينة المحمودية– الحمام العمومي فيها– الفلاة بعد نزعه الحزام.

هذه الدوائر الكبرى منها، والصغرى تتقاطع بعلاقات الانتقال من ⟵ إلى، فأبناء الحيّ الشّعبيّ يسلكون مدفوعين بحافز الرغبة، إضافة الاضطرار إلى الحي الراقي (أمّ محمود– انتصار) ، ويسلك إسماعيل خارقاً هذه الدائرة، فينتقل إلى خارج المدينة، إلى دائرة الموت (العراق) ظنّاً منه الحصول على الخلاص، فإذا به يسعى إلى الموت !

عبد الكريم يسلك صغيرا إلى حي الأميركان عساه يجد تسلية، وفي شبابه يسلك هرباً إلى (باريس)، وحين تخفق علاقته بحبيبته، ويشارف على الموت، يعاود الانتقال إلى الدائرة الأولى (طرابلس). وعندما يستنجد به إسماعيل يزور مجدداً حي الأميركان. يخرج إسماعيل من الحي

[1] حي الأميركان، م.س. 81- 82- 83.

مجلة دولية نصف سنوية محكمة شاملة تصدر عن المعهد العالمي للتجديد العربي العدد الاول / يوليو 2023
ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

الفقير: حي الأميركان إلى موطن الجهاد: العراق تحفّزه مغامرة الخلاص المتوهمة، إلّا أنّه يخفق في التّنفيذ ، فيتحمّل مواجهة خطرين:

- خطر العودة إلى الحي الذي انتهى خبر استشهاده إلى أهله، ففاخروا برفع صوره، والإعلان بتباهٍ عن شهادته (أبوه- أخوه- شبّان الحي).
- خطر القبض عليه من قبل المخابرات المحلية وقوات الاستخبارات الأمريكية.

فيقرر أن يسلك الدرب الذي تؤمن به أمه ، والذي سبق أن دلّته عليه : درب دارة آل العزام. وكأنّما الفقير يدور في حلقة مفرغة لا فكاك له من إسارها

علاقات المكان الروائيّ:

يمثّل المكان عاملاً أساسياً تنهض عليه بنية العمل الروائيّ تعضده العوامل الأخرى بتآلفها معه: كالزّمان والشّخصيّات والرؤية، لتشكّل مجتمعة قاعدة السّرد المؤدّي لرسالته. وجذور المكان الخفيّة تطول الذات الإنسانيّة كذلك، لتنجم عن هذا التّداخل صورةٌ ذات زوايا مختلفة للنّظر والرّؤى والنّقد. وذلك لكون الحدث الرّوائيّ كما يرى شارل غريفل Charles Grivel: " لا يُقدّم إلاّ مصحوباً بجميع إحداثياته الزمانية والمكانية، ومن دون وجود هذه المعطيات يستحيل على السرد أن يؤدّي رسالته"[1].

من المؤكد أن علاقات الأمكنة تسهم في التعرف إلى الواقع، ومن خلالها تبرز الثنائيات المتضادة التي سبقت الإشارة إليها كثنائية الفقر/ الغنى- الوطن / الغربة- الإقدام / التردد ألخ "وهذه الصّفات والأشكال كلها تنتظم في نماذج للعالم، تطبعها صفات مكانية بارزة وتقدم لنا أنموذجاً أيديولوجيّاً متكاملاً يكون خاصاً بنمط ثقافي معطى"[2].

علاقة المكان بالرؤية: يشكّل الكاتب إحدى صلات الوصل الرئيسيّة بالمكان، لذلك فهو يضطلع بمهمة تسليط الضوء على رؤية معينة يلتقطها من عالم الحقيقة، ويودعها عالم الخيال، فتتولد عنها رؤية ترتدي

[1] Thomas Pavel, Univers de la function, Ed. Seuil, Paris,1988, pp: 96-97
[2] ياسين النّصير، الرّواية والمكان، العراق: دار نينوى للنّشر والتّوزيع، ط1، 2010، ص 14.

مجلة دولية نصف سنوية محكمة شاملة تصدر عن المعهد العالمي للتجديد العربي العدد الاول / يوليو 2023
ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

غير وجه، ويُعزى ذلك إلى تعدّد الرائين، من مواقع مختلفة، ومن خلال ثقافات متعددة. فالراوي والرؤية " متداخلان ومترابطان ، وكلٌّ منهما ينهض على الآخر ، فلا رؤية بدون راوٍ، ولا راو بدون رؤية"[1].

فإسماعيل لا يرى من طرابلس إلا فقرها ، وتردّي أحوال أهلها، وأمراضهم والظلم الذي يتعرضون له، لذلك تسقط مميزات المكان عنده، ميزات الاختلاط والعيش المشترك، والحضاري المميّز لتاريخ المدينة ، ويصبح المكان بالنسبة إليه مجرد وسيلة لتحقيق غاية، إنّه نقطة الانطلاق للتدمير بغية حصول التغيير، فشخصيته نتاج التهميش والإهمال الذي لحق بالمدينة، وما نتج عن ذلك من انهيار لسلم القيم في نفسه، ونفوس الشباب أبناء جيله .

ولعل حضور ثنائية : الفقر# الغنى الناتجة عن استفحال رأس المال ، وتسلّطه واستحواذه على السياسي، وانصراف هذا الأخير(الوريث السياسي) عن العناية بشؤون الناس العاديين ، تطلباً للمظهرية والمباهاة فقط (الجد العزام # رياض العزام)، يختزل عمق القضية المطروحة في الرواية، فمن رحم هذه الثنائية تبرز إشكالية التطرف والعنف ، ورفض الآخر ، والتعصب والعدوانية، وبالتالي يظهر تحوّل هوية المدينة المنفتحة المسالمة إلى بؤرة حقيقية للتعصب ولتصدير الإرهاب، وما يرافق ذلك من تداعيات على النفوس وعلى الأفعال.

فبداية تحوّل هويّة المدينة ينطلق من حي الأميركان ، إحدى البؤر المهمّشة فيها ، والّتي يتعرّض أبناؤها للاتهام الفوري بمجرّد وقوع أيّ من الحوادث الأمنية على أرضها، لذلك ينشط جهاز المخابرات في أنحائه، ويتعامل أفراده بعدوانية مع ناسه " يعرف حي الأميركان الأوامر الصباحية ، صوت ارتطام النعال العسكرية بحجارة الأدراج، خرطشة البنادق والصراخ الأخير أحياناً قبل إطلاق النار إذا ما زّين لأحد المطلوبين الفرار أو لأحد الشبان تسريع الخطى إن لمح الدورية تنتشر في الحي"[2].

بينما يجري مثلاً تغطية تصرّف عبد الكريم العزام – إبن المدينة عينها– لإيوائه مجرماً هارباً من العدالة (إسماعيل) بعد ملاحقته من قبل قوّات الاستخبارات الأميركيّة في إثر عودته من بغداد، يعفى عبد

[1] عبدالله إبراهيم، وظيفة الرّؤى في القصّة العراقيّة في الثّمانينيّات، م.س. ص 15.
[2] حيّ الأميركان، م.س. ص 137.

مجلة دولية نصف سنوية محكمة شاملة تصدر عن المعهد العالمي للتجديد العربي العدد الاول / يوليو 2023
ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

الكريم من التجّريم، لانتمائه إلى أسرة آل العزام " أبلغوا المركز بكل ما يحدث، ومهما حدث لا تأتوا بحركة من دون استشارة القيادة، أعفوني من أولاد العائلات، هذا جدّه زعيمٌ كبير" [1].

وقد استطاع الكاتب استنطاق الذاكرة اللبنانية الجماعية ، بل استنطاق الذاكرة العربية كذلك، من خلال تسليطه الضوء على الماضي كاشفاً عن تاريخ مدينة طرابلس المشرّف في النّضال العربيّ، وعن مشاركاتها الجماهيرية، واتخاذها المواقف الحازمة حيال أحداث تاريخية معروفة، وبذلك يصبح بمقدورنا استرجاع التاريخ من أرشيف الذاكرة؛ تاريخ طرابلس المدينة الوطنية التي شاركت، في دعم الثورة الجزائرية، وفي مناصرة جمال عبد الناصر، وفي احتضان اللاجئين الفلسطينين.

لذا يصبح اختيار الروائي مكان عيش الشخصية، مبنياً على مدى ملاءمة المكان للقناعات والأفكار التي يبلورها عبرها ، ويسرّبها من خلال طريقة تفكيرها. لأنّ لكل مكان من أمكنة الرواية " دلالة تحاكي شيئاً ما في ذات الكاتب أو في الذات الاجتماعية لتصبح مؤثرة وفاعلة لا أماكن وعاء وأماكن اتّكاء"[2] التحوّل

والسؤال هو، سؤال التحوّل للمكان في الزمن، سؤال الواقع المقلوب الذي نتلمّس مظاهره، من خلال تتبّعنا، لتحوّلات الأمكنة من خلال:

تحوّل الحيّ الشّعبّي " حيّ الأميركان"(بؤرة التّحوّل الرئيسيّة في المدينة)

يكتسب المكان/ حي الأميركان صبغة استثنائية في هذه الرواية، فهو ليس مكاناً معتاداً كالذي نعيش فيه، أو نخترقه يومياً، ولكنه تشكّلٌ لعنصر من بين العناصر الأساسية المكوّنة للحدث الروائي، وسواء جاء في صورة مشهد وصفي، أو كان مجرّد إطار للأحداث، فإنّ مهمته الأساسية تمثّلت في التنظيم الدرامي للأحداث. وهذا الحي ينطبق عليه ما يعلنه شارل غريفل Charles Grivel من " أن الفضاء الروائي هو الذي يكتب القصة حتى قبل أن تسطرها يد المؤلف"[3]

فهذا الحي لا يُقدّمُ، بوصفه مكاناً مستقلاً ذا موقع جغرافي محدّد ومساحة وعناصر معينة، وإنما يتم ذلك من خلال انتقاء أماكن وأشياء تنتظم في سياق القصّ لتكوّن منه مجتمعةً مكاناً روائياً ذا موقع في

[1] م.ن. ص 149.
[2] ياسين النصير، الرّواية والمكان، العراق: دار نينوى للنشر والتوزيع، ص1، 2010، ص20.
[3] Charles Grivel, Production de l’intérêt Romanesque. Ed Mouton 1973 p.107.

مجلة دولية نصف سنوية محكمة شاملة تصدر عن المعهد العالمي للتجديد العربي العدد الاول / يوليو 2023
ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

البناء الروائي " فعندما يتم الانتقال من فضاء الحيّ الشعبيّ إلى فضاء الحيّ الراقي سيتغيّر معه نظام القيم وبرنامج الممارسة الاجتماعية لصالح نظام جديد يُنتج قيماً جديدةً وممارسة جديدة"[1].

تقدّم الرواية، منذ بدايتها، مشهد حي الأميركان، في وقتنا الحاضر، بعد أن طاله التحوّل ، وقسا عليه الزمن. وإذا توقفنا ،عند الملفوظات الوصفيّة المتكرّرة في أكثر من صيغة وشكل في الرواية، فإننا سننتقي صفتي: الضيق والتداعي بوصفهما صفتين تسمان غيرموضع من مواضع هذا الحيّ الطرابلسيّ العتيق.

ففي الحيّ: المدرسة الإنجيلية المهجورة – مبانيها المتهالكة– يطلّ الحي على نهر المدينة، حيث لا حيلة للساكنين للوصول إلى بيوتهم سوى ارتقاء الأدراج العديدة التي ترسم في الحارة أخاديد تشبه سواقي الماء– يتعاون السكان على نقل الأثاث والمرضى صعوداً– يسكن المشنوق في بيت من الحجر الرملي هجرته منذ نصف قرن عائلة من تجّار سوق القمح المتوسطي الحال– يحتفظ المبنى ببقايا وردة منحوتة– بقطع تطريز حجري متساقطة هناك على طول كورنيش السطح– تفاصيل غارقة في بؤس حالِه الراهنة– اضطر المشنوق من ضيق الحال إلى الاكتفاء بالغرفتين الأرضيّتين والفسحة– يشاركه في الإيجار والسكن بلال محسن وأفراد عائلته.

أما الطريق إليه فتكاثرت فيها بسطات العتائق في سوق الجمعة– يجتاحه فقراء الجبال– وعبره ترسل انتصار الصبي الثاني إلى ورشة تصليح السيارات– يأكله الشحم والزيت ويخشن مع رفاق السوء – مياه العاصفة تجرف نفايات الأحياء العليا – تبعثرها في أرجاء حي الأميركان بالتساوي– تلاميذ يخبطون أرجلهم فرحين في البرك الصغيرة الوسخة– تتمهّل ،وهي تسلكه ،إلى جانب كومة العظام– يطنّ حولها الذباب– تناديها الكثرة الصباحية وأصحاب البسطات– مزارعون تفوح منهم روائح الأرض الرطبة– مسيحييات سافرات من أخوات الرجال يكاسرن في الأسعار– موظفون يدورون لمجرد التنزّه في تلك الأحياء الضيقة– يدخلون أحد الجوامع المملوكية الصغيرة– عربات اليد يجرها غرباء فقراء يدلّلون على الخضر الشتوية– يتكدّسون في غرف صغيرة– يجرّون الأحمال كالدواب– الأرصفة الضيقة– رصيف

[1] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، الدّار البيضاء: المركز الثّقافيّ العربيّ ، ط2، 2009، ص 78.

مجلة دولية نصف سنوية محكمة شاملة تصدر عن المعهد العالمي للتجديد العربي العدد الاول / يوليو 2023
ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

تسدّه نفايات منزلية– رائحة البوريك الطالعة من المصبنة– رائحة السمك– ماسحو الأحذية ينظرون أحذية المارة– يرفعون أصوات الأغاني الشائعة إلى السماء– يتضاربون بقسوة لتأمين عملهم "[1].

إضافة إلى ضيقه وقدمه، نجد الحي الشعبي قد اتّسم بإنسانه، فهو بات آهلاً بالفقراء يكتظّ بهم، فيضطر المشنوق وبلال محسن إلى تقاسم منزل سكن واحد يصل الدرج الداخليّ بين طابقيهما " قرّر– المشنوق– تثبيت التّلفاز على الدرجة الثالثة من السلم الداخلي، على أمل ألاّ يركله أحد أولاد بلال محسن وهم يهرولون نزولاً"[2]، وانتصار تضيق وهي سائرة: بالباعة نساء ورجالا وبالسائحين في أنحاء المكان، وهم يبحثون عن رائحة التاريخ في ذاك الحي الضيق، وبالفقراء يتكوّمون في غرف صغيرة منه. هكذا تبرز ضمن فضاء الحيّ الشعبيّ صفات أساسيّة ، تؤثّر على القاطنين فيه وهي : ***الضيق+ القدم+ الاكتظاظ+ القذارة،*** تبدو هذه الصفات كما لو كانت صفة واحدة لها عدة إشارات دلاليّة.

بذلك ينهض الحيّ الشعبيّ في هذه الرواية، بوصفه مكاناً انتقالياً من المقام الأول، بوظيفة أساسية في السّرد الروائي، فانطلاقاً من وصفه يتأسّس القول الحكائيّ ويبرز، من دون ما عداه ، عنصراً ضرورياً لفهم المادة الحكائيّة فيها، فنفهم، في ضوء هذا التحوّل الذي لحق كل ما فيه، التحوّل الذي سيطرأ على إنسانه ، لا سيّما إنسان الجيل الجديد الذي سيتربّى في أنحائه، وهذا هو حال شخصية إسماعيل.

تحوّل الحيّ الراقي:

هذا التبدّل ، الذي عرفه الحيّ الشعبي ، يتمدّد إلىحيّها الراقي (حيّ آل العزام). فبعد عودة عبد الكريم من باريس، يحاول الوقوف خارج منزله، عساه يتحقّق مما تركه هناك من ذكريات الروائح الجميلة التي كانت تنسرب إلى أنفه سابقاً من البساتين ، فلا يفلح.

يبدو مشهده، وهو واقف ليلاً أمام منزل والديه في الخارج، مثيراً لتهكّم من قد يراه "أطال الوقوف في الخارج. بدا منظره مضحكاً، واقفاً ثابتاً يرفع أنفه إلى الأعلى فلا يصله من الروائح المبعثرة سوى مازوت السيارات العمومية العابرة، ومن الأصوات غير هدير مولد الكهرباء في البناية المجاورة، وإذا أنصت جيداً

[1] حي الأميركان، م.س. ص:5-6-7-12
[2] حيّ الأميركان، م.س.ص.7.

مجلة دولية نصف سنوية محكمة شاملة تصدر عن المعهد العالمي للتجديد العربي العدد الاول / يوليو 2023
ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

يسمع صوت "زيز ليلٍ" من بقايا بساتين الليمون لا يزال تائهاً وسط الأبنية المتكاثرة"[1]. الراقي الذي كان يعبق برائحة الزهر تفوح ليلاً، في أنحائه، بات مسكوناً بروائح المازوت، والبساتين اجتثّت لتحلّ محلّها الأبنية المتكاثرة، والتلوّث آفة بلادنا، قد وصل إليه.

تحوّل المدينة:

ينسحب الأمر عينه على المدينة بأسرها، يزور رياض عبد الكريم ، في منزله، بعد عودته من غربته الباريسية، يريد الاطمئنان إلى أنّ ابن عمّه لا مطامع سياسية لديه، فيعلن في سياق حديثه عن هذا التحول المزعج بالنسبة إليه، فمدينته صارت " ميّتة ، تستيقظ متأخرة، وتتحوّل إلى مدينة أشباح بعد الثامنة ليلاً"[2]، وقد خضعت لسلطة المال السياسي خلال فترة الانتخابات: " يشتري الأغنياء أصوات أهلها في الانتخابات ، أغنياء تحوم الشبهات حول طريقة تجميعهم الثروات".

أما على الصعيد الاجتماعي: فصالات السينما قد أقفلت أبوابها، ومن يريد السهر ليلا عليه الانتقال إلى إحدى البلدات المسيحية، ومحال الملابس الأنيقة هاجرت، ومدارس الإرساليات أقفلت، وتضاءل عدد المسيحيين ، وقد " سيطر المتطرّفون على المساجد، وطردوا منها الخطباء الذين يحجمون عن الدعوة إلى الجهاد كيفما اتفق، ينقّبون نساءهم بالأسود يكفّرون ويحرّمون ، ".[3]

هكذا يصبح المكان / المرجع موحياً بالدلالة ،سواء في الحيّين / المتعارضين أم في المدينة جميعاً، فالتحول واحدٌ في الكلّ ، إنه التردي، وإن اختلفت مشهديّته، وتبدّلت عناصره، وهذا التحوّل يفضي إلى حدوث المواجهة / العاصفة.

يفيد المكان الرّوائيّ في حالته هذه أن ليس من مفرّ من الصراع، طالما أن ليس من دائرة اتّصال بين الفئة الحاكمة وبين السّلطة، وبين فئة الشعب من نحو أول، والوطن من نحو ثانٍ. لقد جسّدت زمكانيّة هذه الرّواية صراع الشّخصيات مع الذات، أو مع الآخر، سواء كان هذا الآخر فرداً أم جماعة، أم دولة، أم عالماً بأسره، وبدت فكرة المدينة / صورتها مشروطة، بكيفيّة تشكيل هذا الصراع ودلالاته، ما

[1] حيّ الأميركان، م.س. ص 90.
[2] م.ن. ص 94.
[3] م.ن، ص 48.

مجلة دولية نصف سنوية محكمة شاملة تصدر عن المعهد العالمي للتجديد العربي العدد الاول / يوليو 2023
ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

يقود إلى استقراء تحوّلات الزمن في الرواية، حيث يتبلور التقابل المفجع/ المحفّز الحقيقيّ، على فعل القول.

1-ثنائية الماضي/ الحاضر:

يظهر، في الرواية ، وكأنّ للمدينة ذاتين اجتماعيتين، الأولى منهما واضحة الهوية،عربية قومية ملتزمة بالمسار العام لحركة المنطقة: تنفعل بأحداثها، وتشارك في الإعلان عن مواقفها تجاهها عبر فعل التظاهر، وهي ذات تسعى نحو الانفتاح، فتتقبّل دين الآخر ومظاهر عبادته، وتلاحق التطور الفنيّ والاجتماعيّ = يشاهد أبناؤها أحدث الأفلام السينمائية، ويشترون الملابس المعاصرة ، ويفتتحون محلات التزيين .

أما الذات الثانية فمنغلقة انتقامية تسعى نحو الهدم والتّخريب ، ترفض العلم والتطور، تنكفئ نحو ذاتها، تسعى إلى إلغاء الآخر، وهي تتقن فن التآمر والتّسريب جاعلةً الإرهاب خطاً واضحاً لها، تكمّ أفواه المعتدلين، وتسعى إلى فرض خياراتها بالقوة. تتمثل الذات الأولى من خلال أحداث ***الزمن الماضي*** ، ويسهم الاسترجاع في الإضاءة عليها = المدينة حاربت الانتداب الفرنسي/ تضامنت وتظاهرت مع كل قضية عربية/تضامنت مع ثورة الجزائر/ تظاهرت ضد حلف بغداد/ خرج أهلها إلى الشوارع عن بكرة أبيهم يوم استقال جمال عبد الناصر/ قاد رجل من رجالها جيش الإنقاذ الفلسطيني عام 1948./ المسيحيون فيها كانوا يحملون الأيقونات ويقومون بزياحاتهم في الشوارع فيقف التجار في أبواب محالهم احتراماً. تمتلئ صالات العرض فيها بالأفلام الغربية لجينا لولو بريجيدا وغريغوري بيك. يسود الأمان في شوارعها، فتنطلق انتصار/الطفلة لتشتري البليلة للغداء من عند الفوّال، في سوق الصاغة، من دون خوف أو وجل.

في المقابل، يكشف توالي الوحدات السّردية خطيّاً وانتظامها، في السّياق، عن انقلاب الأوضاع ***في الزمن الحاضر*** = المدينة ميّتة/تستيقظ متأخرة/ تتحوّل إلى مدينة أشباح بعد الثامنة ليلاً/ أمست اليوم لا تحرّك ساكناً/ يشتري الأغنياء أصوات أهلها في الانتخابات/ أغنياء تحوم الشبهات حول طريقة تجميعهم الثروات/ نعي صالات السينما التي أقفلت الواحدة تلو الأخرى/ مدارس الإرساليات هجرت

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

المدينة/ سيطر المتطرّفون على المساجد/ ينقّبون نساءهم بالأسود/هدّدوا المزينّين النّسائييّن / منعوا الأطبّاء الرجال من معاينة النساء/ يوبّخون من يكسر الصّيام علانية/ يطاردون شاربي الكحول على حواجز أقاموها عند مداخل المدينة/ يكدّسون المال في حساباتهم الشخصيّة/ يمدّون بالسلاح زمرة من المرافقين / يرسلون الشبان إلى القتال في جبهات لا يعودون منها/ صارت انتصار تتلفّت ما إن تنتبه لوقع أقدام ترنّ من بعيد فوق بلاط الأسواق/ صحيح أنها (انتصار) لم تتعرّض للتحرّش مرّة لكنها صارت تخاف.

هذه المشاهد، لما افترضنا أنّهما ذاتان اجتماعيتان، تظهرُ التقابل الجليّ بينهما، وتشفّ عن الدلالة على التغيير الطارئ الذي حلّ على ملامح المدينة، وعلى ساكنيها، لتصبح الرواية رواية التحوّل والتغيّر الاجتماعي/ الثقافي، ويصير للزّمن مفهومه المعاكس، فكأنّما السير إلى الأمام يصير في " حي الأميركان" تراجعاً حثيثاً إلى الوراء بكل ما يحمله هذا الأخير من تضمينات التخلّف، والتعصّب، وانعدام الحرية الإنسانية، هكذا يتولّد صراعٌ بين النوستالجيا أو الحنين إلى الماضي، وبين رفض الحاضر القاسي الذي خالف كل التوقعات.

هذا وقد عرفت الشّخصيات الرّئيسيّة تحوّلات متفاوتة، أبرزها تحوّل شخصيّة إسماعيل " الإرهابي" الّذي انتمى إلى القاعدة، إذ مرّت بتحولين. بداية عندما غادر طفولته وبراءته وأعماله الصبيانية، وصار " عاقلاً" وملتزماً دينياً يقيم الصلاة في بيته وفي المسجد، ويأمر أمه بالالتزام، ثم يتطوّع لتفجير نفسه في من عدّهم كفاراً، وهو تحوّل لم يمكّنه من بلوغ العامل الموضوع لكونه تحوّلاً هشّاً، لم تنقلب معه طريقة تفكير، بدليل التراجع السريع عن فعل التّفجير المكلَّف به، عند أول معوّق، والتحوّل الثاني تمثّل في عودته عن التطرّف، ورغبته في الحياة الطبيعية مجدّداً، وشعوره بحبّه لأمّه وأسرته ومدينته كاشفاً بذلك عن:" العمق الإنسانيّ الفطريّ، وحسّ الأخوّة والمحبّة اللّذين يتغلّبان على كلّ فكر تدميريّ"[1].

أما شخصية أمّه انتصار فقد طرأت عليها تحوّلات طفيفةٌ تمثّلت، في حبهّا لزوجها، ثمّ ندمها على هذا الحبّ. بعد ذلك تحوّلها إلى الإعجاب الصامت بعبد الكريم، ورغبتها المكبوتة فيه. وهي

[1] محمّد المسعودي، كتابة الراهن ورهان الرواية الجديدة: قراءة في حي الأميركان لجبور الدويهي/ القدس العربي/ يومية- سياسية- مستقلة/ حزيران12-2014 1223481=www.aqds.co.uk.p

مجلة دولية نصف سنوية محكمة شاملة تصدر عن المعهد العالمي للتجديد العربي العدد الاول / يوليو 2023
ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

التزمت بوضعِ الحجاب بناء لأوامر ابنها إسماعيل، هذا التحوّل لم يغيّر العامل الموضوع ، وهو اهتمامها بعبد الكريم والرغبة في مجاورته دائماً، ثم سارعت إلى خلع حجابها، وأرجحة مؤخّرتها أمام المشنوق عمداً بعد معرفتها أن ابنها لا يزال حياً. " ابتسمت له (المشنوق) للمرّة الأولى في تاريخ جيرتهما، غير عابئة بنظراته التي طاردت ردفيها وربما تعمّدت تحريكهما وهي تخرج من الباب لتنزل الأدراج برشاقة وتعبر الشوارع "[1]. سلوكها هذا يؤكد سطحية التحوّل الذي لحق بشخصيتها.

كذلك عرفت شخصيّة الأب بلال، تحوّلين رئيسيّن: التحوّل الأوّل الذي لحق بشخصيته بعد حاثة باب الحديد، فبعد أن كان إنساناً لا مبالياً قبل الحادثة ، تحوّل بعد وقوعها إلى اليأس والانطواء والندم وعدم القدرة على الاندماج المجتمعي. أمّا التحول الثاني فقد وقع بعد حادثة الاستشهاد الموهوم لابنه، التي ولدت في ذاته احساساً بالاعتزاز والفخر، فتحقق العامل الموضوع بالنسبة له، وقد تمثّل باستعادة الثقة بالنفس، وبالشجاعة الطارئة، وهو يواجه رجال المخابرات الذين كانوا مصدر رعبه سابقاً، فيقف صارخاً في وجوههم أنه والد إسماعيل الشهيد: " إسماعيل الذي مات عنه في العراق"[2]،" كان جنديان يحاولان عبثاً زحزحة بلال من المدخل. قوة غريبة استوطنت جسمه النحيل، تكاثروا عليه بعد أن ناداهم الضابط، اقتلعوه قطعة واحدة... ثم صار مستسلماً إلا من رأسه المرفوع ونظراته السوداء تشعّ حماسة يدور بها في كل اتجاه كي لا يفوت من أبناء الحي ثأر بلال محسن من ماض بقي يجرجره ثقيلاً حتى الأمس"[3] . إلا أنّ بلال يعاود وحدته وثرثرته الفارغة في نهاية الرواية، وقد صار يخلط بين بطولته الموهومة، وبطولة ابنه التي لم تتحقق فعلياً، بطولة زائفة ، وبذلك يظهر التحوّل هشّاً آنيّاً، والبطولات مفرّغة.

أمّا التحوّل الخطير الذي حدث في الرّواية فهو تحوّل خال إسماعيل، أستاذ الفيزياء الذي استحال إنساناً مدمناً لا يقوى على الوقوف على رجليه، وقد انسحب من عمله، وانكفأ على ذاته في منزله وحيداً، وقد كان من الممكن أن تمثّل قصّته– لو طوّرها الكاتب– قصّة مقابلة لقصّة عبد الكريم ، إلا أن المؤلف أبقاها هامشيّة تضيء واقع بعض المثقّفين ليس إلاّ.

[1] حي الأميركان، م.س. ص 158.
[2] م.ن. ص136 .
[3] م.ن. ص140 .

مجلة دولية نصف سنوية محكمة شاملة تصدر عن المعهد العالمي للتجديد العربي العدد الاول / يوليو 2023
ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

تشير دلالات هذه التحوّلات الفردية إلى تحوّل شخصية المدينة بأسرها : المدينة التي كانت مسالمة آمنة، متصالحة مع ذاتها، ومع الآخر المقيم فيها والوافد إليها، تصدّر الحياة من خلال منتجات المهن الحرفية التي اشتهرت في أنحائها، تحترم معتقدات الآخر وعباداته، تلك المدينة تحولت إلى مكان خامل ، تموت الحركة في أنحائه، يتحوّل السياسي فيه إلى مجرد وصولي، بعد أن كان إنساناً يُعنى بأمور أبناء مجتمعه، ويتحول فيه الدين من مصدر للتسامح والمحبّة والتقويم، إلى شحن حقود يدفع إلى تصفية الآخر المختلف، وإلى قتله، بغية فرض شروط جديدة ، لمعادلة حياة جديدة، يريد إرساءها في فضاء المكان.بذلك يمكن الاستدلال على إخفاق في مسيرة حياة المدينة، مردّهُ انسداد الدروب أمام أبناء البيئتين الرئيسيتين فيها.

استنتاج:

يظهر الرّصد الخاصّ ، لأشكال الوجود الإنسانيّ، في رواية حيّ الأميركان، تقديماً لنواحٍ من الواقع الفعلي،لا تنمّ عنه هويّة الشخصيات وحسب، بل يبرز أيضاً، من خلال شبكة العلاقات القائمة بين شخصيّات الرواية، وما يتفاعل في نفوسها من صراعات، خضعت لتأثيرات العالم الخارجي، وبرز في ذاكرة الشخصيات المنفتحة ، على الماضي، والمتّصلة باللحظة الآنية، ليكون هذا الانفتاح وثيق الصلة بالتحوّلات التي أصابت تلك الشخصيات في قناعاتها وفي منطلقاتها. وقد كشفت ردود أفعال مختلفة عن توجهات قيمية لدى بعض الشخصيات، فمنها من اتخذ مساراً مغايراً لاقتناعه، ومن هذه الشخصيات من رفض الاشتباك مع العامل واكتفى بالانزواء الداخلي، ومنها من ظلّ يؤمن بصحّة خياراته في الحياة، فقرّر الثبات عليها.

لذلك يمكن للباحث في بناء شخصيات رواية " حي الأميركان" وعلاقاتها، وتحوّل هذه العلاقات الخلوص إلى كون الرواية تعكس حركة الحياة في تشعّبها وتشابكها وتقابلها في مدينة طرابلس، خلال مرحلة زمنية مهمة، وهي تظهر حركة التقاطب القائمة بين الفقراء والأغنياء ، أحد وجوه الصراع فيها.

كما ترصد هذه الحركة في مدينة باريس من خلال أجوائها المتحرّرة ، وبعض المناحي الثقافية فيها. فيتعدّد العامل الذات الساعي إلى تحقيق رغبته، ويمثل هؤلاء بعض طبقات المجتمع: الرجل الثري، الشاب المتمرد، المرأة/ الزوجة، المرأة / العاملة، المثقف، الفقير المهمل، رجل الدين

مجلة دولية نصف سنوية محكمة شاملة تصدر عن المعهد العالمي للتجديد العربي العدد الاول / يوليو 2023
ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

المضلّل، السياسي / الوطني، السياسي/ المتسلّق، الوطني / القومي، رجل الشرطة، الفنانة/ الراقصة...ووجود أكثر من عامل ذات يستدعي من يساعده، أو من يناوئه يعدُّ سعياً من قبل الكاتب إلى مماثلة الحياة في سيرورتها، وفي انفتاح أحداثها وتقلّبها، إلا أنّ الناظم الخارجيّ في " حي الأميركان" يتحكّم بمسار السرد فيحرم الرواية فرصتها بالتجريب، ويفسد عليها نماء ها. يتعدّد ممثّلو العامل الموضوع ، وممثلو العامل الذات وتتحوّل الرغبات لتتبلور في مشروعين متقابلين، مشروع حياة ومشروع موت، وفي سياق تبلورهما تبرز الصراعات وتتحدّد.

تبدو الصراعات نابعة ***من داخلٍ:*** (داخل الشخصيّات– أعماق الحياة المجتمعيّة المحليّة)، ***ومن خارجٍ:*** (الأحداث القوميّة والمواقف التي ترافقها– التطرّف وتمظهراته : مسلّح غريب+ تجهيز)، وفي ذلك إنذار بتحوّل الصراع، واتّساع رقعته الجغرافية والسياسية. تتكرّس الوراثة السياسية، ويصنع المواطن بنفسه الزّعيم، ويكرّسه بالعودة إليه دائماً لحلّ أزماته، ويصنع الزعيم تابعَه بخلق حاجته المستديمة إليه. يجيد الروائي رسم الشخصيات وصراعاتها وتحوّلاتها من خارج، لكن أحادية الرّؤية السّردية ذات المعرفة المطلقة، والصّوت المتفرّد كلها سمات دلّت على مبتغى الراوي التوجيهيّ لعملية القراءة، لأنه يوجّه المتلقي (المرويّ له) ليشاركه رؤيته إياها، ومن خلالها يدفعه إلى مشاركته لأبعادها، أما في الرّؤية السردية المتعدّدة الأصوات فستتعدد القراءات وتتولّد دلالات متعدّدة، و بذلك يكون الدويهي قد حرم شخصياته فرصتها بالتعبير عن تطلعاتها، وحرم المتلقي متعة التحليل والاستنتاج.

تقدّم الرّواية واقعاً اجتماعياً وسياسيّاً محكوماً بالطّبقية، والظلم، وتوليد الإحباط، وتشجيع الثراء غير المشروع، واستنهاض الدينيّ المتطرف، وتخييب أهل العلم، وكلّها معوّقات للتقدّم الحقيقيّ، وتحريض للمواطن على التمرّد والخروج ، وإن كان الخروج في هذه الرواية قد صار هدّاماً مميتاً، كما كان حال كل الثورات التي عرفتها منطقتنا العربية. ويستخدم الروائي شخصيات تاريخية ذات دلالة (جمال عبد الناصر– أم كلثوم) فتكشف عن التوجه العربي/القومي الذي كان للمدينة سابقاً (غريغوري بيك– جينا بريجدا) يكشفان عن انفتاح المدينة وتطلعاتها الثقافية المتقدمة بالتقابل مع الحاضر الذي اتّجه نحو الانغلاق.

مجلة دولية نصف سنوية محكمة شاملة تصدر عن المعهد العالمي للتجديد العربي العدد الاول / يوليو 2023
ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

كذلك تفضح الرواية اختلاف طبيعة السياسي المهيمن ، ففي الماضي كان وطنياً يشارك في القضايا النضالية ويقوم بخدمة الناس، مصطفى العزام # رياض العزام المحدَث الذي يسعى إلى السّياسيّ يستخدمه مطيّة نوال السلطة والنفوذ.

تغلب على الممثلين، في الرّواية، هويتّان: أولاهما هويّة المثقف، وثانيتهما هويّة الهامشي، وهذا يستدعي السؤال عن طبيعة النّاشطين في أنحاء المجتمع الطرابلسي، هل هم المثقّفون المحبطون والهامشيون فقط؟ وماذا عن سائر الفئات و الشّرائح البشريّة الأخرى التي تم تغييبها ؟ أما المثقّف/ الفقير في هذه الرواية فمصيره الإدمان = تغييب العقل، والتحوّل إلى إنسان أخرق لا حول ولا طَول له، وبذلك تلغي الرواية بقسوة، دور شريحة من المثقفين، الأمرالذي يعكس بعداً واقعياً واضحاً في مجتمعنا، بينما يبرز الهامشيّ وينشط. كذلك تغيّب الرواية صورة المرأة المعاصرة الفاعلة والمتعلمة، على الرّغم من حداثة تاريخ كتابتها وصدورها، فلا تبرز في المدينة ، من خلالها، سوى صورة المرأة الخادمة (أم محمود– انتصار) وفي ما بعد الحفيدة، والمرأة/ الأم المحايدة (أم عبد الكريم – خالته وأخته)، وهذا تحجيم واضح، وغير واقعي للحضور الأنثويّ في المدينة.

يغلب الثبات على العوامل والممثلين. والتحوّل الذي يحدث بشكل محدود وغير نوعي ، إنه تحوّل ضمن الوحدة، فالهامشي يبقى هامشياً، والفقير يرتع في فقره، والخادم يستمرئ الخدمة، ما يعني أن الرواية تقليدية، تعرف بعض مظاهر التجديد، وهي تروي حكاية أناس يحكمهم قدر مرسوم، وإذا كان الروائي قد فتح نافذة أمام إحدى شخصياته الرئيسية: إسماعيل التائب إذ سهّل له الفرار، فهو فرارٌ إلى المجهول.

ليس إلاّ.

خاتمة البحث

تمثّل رواية " حي الأميركان" علاقة الاجتماعيّ الطّرابلسيّ المسحوق بالسّلطوي السياسيّ المسؤول عنه، فهي رواية واقعيّة تستبطن ظواهر الواقع، وتحاول إعادة استقراء أسبابها، لتدرك كيفيّة تشكّلها، ومدعاة

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

التّحوّل فيها. وهي، إذ تفعل ذلك ، تصبو إلى النّفاذ إلى العامل الأساس الذي تسبب بتخلخل هذا الواقع، وأدى إلى فقدانه توازنه.

تنسج الرواية لقارئها عالماً روائياً، بتوظيفٍ فنيّ، توخّى نقدَ الواقع الاجتماعيّ، وتقديمَ معرفة بالظواهر السلوكية المشبوهة التي تمخّضت عن نشوء ظاهرة الإرهاب في أحضان المدينة العريقة، تلك التي عرفها التّاريخ مسالمة متصالحة وناهضة، ثمّ استحالت، في حقبة زمنية معينة، بيئةً حاضنة للإرهاب ، مساهمةً في إنتاجه، وفي تصديره. على أنّ مثل هذا التوظيف لم ينل، في نظرنا، من فنيّة العمل الأدبي الروائيّ، بل إن هذا التّوظيف كان بمثابة رقيّ في التقنية السرديّة ، وهو يبحث عن خصوصية قول، لخصوصيّة مرجع. إنه ابتكارُ البدائل الفنية التي تغيّب العامل الأساسيّ بهدف قوله، كأنها بذلك تحوّل غيابه سؤالاً يدعونا، إلى طرحه على المرجعيّ نفسه.

لقد شكّلت ، ظاهرة الإرهاب أو ظاهرة التطرّف الديني ،حالة نافرة ، في المجتمع العربي على وجه العموم ، وفي المجتمع اللبناني على وجه الخصوص، في الآونة الأخيرة من تاريخنا المعاصر، وكانت مدينة طرابلس إحدى المدن/ المنبع أو المغذي لهذه الحالة الطارئة، وقد حاول الدّويهي،عبر قصّه، التّصدي لهذه الظاهرة، ملتزماً بقضية وطنية / قومية تطال حياة الإنسان وكرامته، وتهدّد أمنه واستقراره، أياً تكن هويته ومهما تعدد انتماؤه. وشكّلت شخصية إسماعيل، تحديداً، عاملاً مهمّاً للكشف عن أيديولوجيا تلك الجماعات، وطريقة تفكيرها وسلوكها من خلال المسار الذي التزمه.

ودلّ بناء المكان في الرواية على إشكالية خاصة به، ترتبط بجذور تاريخية قائمة على العيش المشترك، وعلى احترام الآخر وتقديس حريته، وقد عبّر المكان عن رؤية متدرّجة من الذاتي إلى الاجتماعيّ الذي، ينصهر فيه كل من المستوى النفسي /الاجتماعي في تفسير الظواهر. حيث استطاع الروائي، من خلال رمزية الأمكنة، تشكيل فضاء مكاني رحب حاضن لعملية التحول التي شملت الحجر والإنسان، محاولاً، عبر إعادة استقراء تاريخ المدينة، صياغة ما يشبه الذاكرة الجماعية لهذه المدينة، واستنهاضها ،عبر فعل الاسترجاع، لمواقفها التاريخية المشهودة، الإرهاب المُحدث ، من منظوره، حركة مرتبطة بأسباب بنيوية داخلية حديثة تقاطعت معها أسباب خارجية دخيلة، وفي ذلك دعوة مبطّنة لمناوئة الإرهاب الحاضر القادم

مجلة دولية نصف سنوية محكمة شاملة تصدر عن المعهد العالمي للتجديد العربي العدد الاول / يوليو 2023
ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

من خارج، والذي يستوطن البيئات المهمّشة منها، وتنبيهٌ للدولة إلى ضرورة الالتفات إلى أبنائها، لا سيما المهمّشين منهم.

بذلك يكون الكاتب قد ولّد ،عبر الرواية، دلالات تحيل على مرحلة دقيقة من المراحل القاسية التي عرفتها بعض مناطقنا اللبنانية، وعانى من شرّها وبلائها العديد من بلدان العالم العربي، والعالم الغربي كذلك. وإن كنا نأخذ على الروائي تهميشه دورَ المرأة في المتن الحكائي لروايته، وقصره دورها على مناح معينة من الحياة، وجعله روايته، رواية الصوت الواحد، من دون إطلاق الحرية لشخوصها في التعبير وفي الكلام ، إلا أن روايته تبقى عملاً أدبياً حمل مدلولات شتّى، وأطلق دعوة حقيقية للتنبه إلى أبناء الوطن، وإلى ضرورة تحسين ظروف عيشهم، و رعاية الجيل الجديد منهم، ومنعه من التسرّب كي يبقى جيلاً يبني، ويفتح آفاقًا جديدة للمستقبل، لا جيلاً، ينصرف إلى الدمار، وينكفئ على ذاته يأكله الندم، كما فعل بلال محسن وخاله أستاذ الفيزياء!

مكتبة البحث:

المصادروالمراجع:

أوّلاً: المصادر:

أ- الدويهي، جبّور، رواية حي الأميركان، بيروت: دار الساقي، ط1 ، 2014.

ب- المعاجم:

- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت: دار بيروت للطّباعة والنّشر، ط1، 1990.
- مسعود، جبران، معجم الرائد، بيروت: دار العلم للملايين، ط1، 1993.
- Petit Larousse illustré, Librairie Larousse. Rue de Montparnasse,Paris 1977.

ثانياً: المراجع العامّة:

مجلة دولية نصف سنوية محكمة شاملة تصدر عن المعهد العالمي للتجديد العربي العدد الاول / يوليو 2023
ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

المراجع العربية :

- أيّوب، نبيل، النّقد النصيّ(2) وتحليل الخطاب، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ، ط1، 2011.
- بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي، الدار البيضاء/ المغرب: المركز الثقافي العربي، ط2، 2009.
- الحربيّ، بدري فرحان، الأسلوبيّة في النّقد العربيّ الحديث، دراسة في تحليل الخطاب، بيروت: المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، ط3، 2003.
- حسين، خالد حسين، في نظريّة العنوان، مغامرة تأويليّة في شؤون العتبة النّصيّة، دمشق: دار التّكوين للنّشر، 2007.
- الشّنطيّ، عصام، الجماليّة والواقعيّة في نقدنا الأدبيّ الحديث، بيروت: المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، 1979.
- سالم، نبيلة إبراهيم، نقد الرّواية من وجهة نظر الدّراسات اللّغويّة الحديثة، الرّياض: النّادي الأدبيّ، 1980.
- العيد ، يمنى ، الراوي: الموقع والشكل، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ط1، 1968.
- النّصير، ياسين، الرّواية والمكان، العراق: دار نينوى للنّشر والتوزيع، ط1، 2010.

- المراجع (المعرّبة):

- بارت ، رولان، النقد البنيوي للحكاية، ترجمة أنطوان أبو زيد، بيروت: منشورات عويدات، ط1، 1998.
- موير، أدوين، بناء الرواية، ترجمة ابراهيم الصيرفي، القاهرة: الدار المصرية للترجمة والتأليف، ط1، 1965.

المراجع (بالفرنسية):

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

- Charles Grivel, production de l' interet romanesque. Ed. Mouton 1973

- Gérard Genette, Figures II, Ed Seuil, points, Paris, 1963.

- Greimas et Courtes, Sémiotique, Dictionnaire raisonné, T.1, 1979, T.2,1986.

- Thomas Pavel, Univers de la function, Ed. Seuil, Paris,1988.

- Youri Loutman: La structure du texte artistique, trad. par Anna Fournier et autres, Paris, Ed Gallimard, 1973.

الدّوريّات والمقالات:

- القدس العربي، يومية- سياسية- مستقلة، محمّد المسعودي، كتابة الراهن ورهان الرواية الجديدة: قراءة في حي الأميركان لجبور الدويهي 12/6/ 2014.

المواقع الألكترونيّة:

- www.aqds.co.uk.p7/3/ 2014.